آية الولاية المعنى والحقيقة

الأستاذ مروان خليفات

قال تعالى) : [إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون] (سورة المائدة: الآية ٥٥.

نزلت هذه الآية عندما تصدق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بخاتمه وهو راكع والروايات متواترة حول هذه الحادثة في كتب الإمامية .

أما روايات أهل السنة فتكاد تجمع على هذا الأمر.

نزول الآية في كتب السنة

أجمع العلماء على نزول الآية بشأن تصدق علي (عليه السلام) بخاتمه وهو راكع وممن ذكر هذا الإجماع:

- 1القاضي الإيجي في كتابه المواقف في علم الكلام: ص ٤٥.

- 2الشريف الجرجاني في شرح المواقف: ج ٨ ص ٣٦٠.

- 3القوشجي في شرح التجريد: ص ٣٦٨.

في تفسير ابن أبي حاتم بسنده عن سلمة بن كهيل قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت الآية:

)إنما وليكم الله ورسوله] (...تفسير ابن أبي حاتم: ج ٤ ص ١١٦٢.[

وفي تفسير الرازي: (روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهم أشهد إني سألتك في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي كان راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى، وكان فيها خاتم فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي (صلى الله عليه وآله) ...حتى نزل جبريل فقال: يا محمد اقرأ: (إنما وليكم الله ورسوله...)

[تفسير الرازي: ج 12ص ٢٦.]

وفي تفسير الدر المنثور للسيوطي قال: أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) للسائل من أعطاك هذا الخاتم؟ قال :ذاك الراكع، فأنزل الله: (إنما وليكم الله ورسوله...) [الدر المنثور: ج٢ ص ٢٩٣.]

وقال الزمخشري في تفسيره: (وفي كتاب غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري - من السنة - ما نصه بالحرف: (الآية نازلة في علي باتفاق أكثر المفسرين ( ]تفسير الكاشف: ج ٣ ص ٨٢.[

وقال الآلوسي في تفسيره: (وغالب الأخبار بيّن على أنها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه) [روح المعاني: ج ٦ ص ١٦٧.]

هذه بعض أقوال المفسرين حول نزول الآية في علي وصحح ابن كثير بعض أسانيد هذه الحادثة في تفسيره.

وممن ذكر نزولها في علي من المفسرين:

-ابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٦٤.

-تفسير الطبري :ج ٦ ص ١٨٦.

-تفسير القرطبي :ج ٦ ص ٢٠٨.

-تفسير السمعاني: ج ٢ ص ٤٧.

-أسباب النزول للواحدي: ص ١١٣.

-تفسير الشوكاني: ج ٢ ص ٥٣.

-تفسير ابن الجوزي زاد المسير: ج ٢ ص ٢٨٣.

-تفسير النسفي :ج ١ ص ٢٨٩.

هؤلاء وغيرهم من المفسرين.

ومن غير المفسرين الذين ذكروا نزولها في علي:

-الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٧٧.

-الطبراني في معجمه الأوسط.

-ابن عساكر في تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٤٠٩.

-المتقي الهندي في كنز العمال: ج ١٥ ج ١٤٦.

-البلاذري في أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٥٠.

-ابن حجر العسقلاني في الكاف الشاف: ص ٥٦.

تبين مما سبق اتفاق أغلب العلماء على نزول الآية في شأن علي، وهنا يمكن معرفة قيمة قول ابن تيمية)وقد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى أنّ هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة، وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل وكذبه بين!!). [منهاج السنة: ج ٢ ص ٣٠.[

دلالة الآية

بدأت الآية بـ)إنما) وهي أداة حصرٍ في اللغة وقد حصرت الولاية لله وللرسول وللذين آمنوا التي فسرت في علي (عليه السلام).

هناك ولاية بين المؤمنين في قوله تعالى: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وفسّرت أولياء هنا بالأنصار.

فهنا ولاية تعني النصرة وفي الآية التي نحن بصددها حُصرت الولاية بثلاثة: الله ورسوله وعلي فهي إذن غير النصرة.

ولاية لله ولرسوله ولعلي

ولاية الرسول وضّحها الله عز وجل في قرآنه قال تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فله (صلى الله عليه وآله) صلاحية التصرف وطاعته أولى من طاعة أنفسهم.

هذه الولاية الثابتة للرسول (صلى الله عليه وآله) أثبتها الله لعلي في الآية السابقة، كما بيّنها بوضوح في حادثة غدير خم حين قال: (ألستُ أولى بكم من أنفسكم) (فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه) أي فمن كنت أولى به من نفسه فعلي كذلك.

وحديث (من كنت مولاه) متفق عليه وصححه الألباني في السلسلة.

هذه أهم الأبحاث في الآية وبها يثبت ولاية علي على سائر المسلمين.